الاستاذ

الجزء الثامن عشر من السنة الاولى

يوم الثلاثا ١ جمادى الثانية سنة ١٣١٠ و ١٢ كيهك سنة ١٦٠٩

الموافق ٢٠ دسمبر سنة ١٨٩٢

أَتَتَقَلَّبُ الأُمم بِتَقلُّب الأَحوال ونحنُ نحنُ

نعم . فان شجر العداوة والحسد مغروس في قلوبنا يسقى بماء الحقد وكلما جف احتكت جذوعه فالتهبت نيرانه وبات كل شرقيٍّ يصطلي بناراخيه المشتعلة باجزاء ذاته التي يظن انها تشفي غيظه وتريحه باحراق من يراه مثيلاً يدافعهُ او قريناً يساويه في الرتبة وما احترقت الا اعضاء الهيئة الاجتماعية ولا عدمت الا دعائم الوطنية والملك . فنحن في انتظار هلاك بعضنا ننتظر خراب ديارنا وضياع اوطاننا واهمين ان ما حصل لزيد انما هو انتقام منه لعبيد وما نكب به عمرو وسيلة لرفعة خالد فالجار يترقب موت جاره مع علمه انه غير وارثه والابن ينتظر موت ابيه مع كونه واسطة وجوده والمرؤوس يرى موت رئيسه مع انه حجاب بينه وبين الضياع والمجموع يمقت بعضهُ بعضاً وكل ذي لب لا شاغل لهُ الا الفكر في سوء ادارة زيد وعدم انتظام سير عبيد وقعود همة فلان وغفلة فلان وما دري كل منا انهُ فرد من الافراد الذين وجه اليهم اللوم وخصهم

بالتبكيت فهو يذم نفسه ويعيبها بماهو فيها فانه مرآة أَخيه فما ترآى له في ذات أَخيه فهو في ذاته ولكن انحدارنا مع تيار التفاخر بالاوهام وحظ بعضنا على بعض واستواء جاهلنا وعالمنا وعظيمنا وحقيرنا في خداع كلّ صاحبه ومنافقةرفيقه بقدر حاجته وامتلاء القلوب بتمنى زوال نعم بعضنا ابعدنا عن شاطئ المصلحة الشرقية فنحن غرقى اوهامنا التي نظنها علما وفضلاً وحكمة ونبلا ننتظر ريحاً ينشلنا او شرقة تقتلنافننزل الى قاع بحر الضياع طعمة لحيوان او رجوعاً الى العدم · ولا يتعجلن معترض بالطعن في هذه الافكار قبل ان يتأَمل فيها فما زرع هذه الضغائن الا سرعة الاعتراض بغير حق وتصدى هذا لتزييف كلام ذاك ودعوى فلان انه اعلم من فلان وتسلط شرقيّ على اخيه لتنمو ثروةغربيّ او تعلو كلمته · فهذه اجناسنا الشرقية لم تجتمع للاقامة في اقليم اجتماعها في مصر وقد اختلفت مقاصد الوافدين والنازحين في اسباب اعمالهم واتحدت وجهتهم في التماس الرزق او التدرج الى تملك ما بيد المصري من عقار ومزارع ولكنها لم تحسن المعاملة مع بعضها واتخذت المغالبة على سلب حقوق المصري وسائل لمقاصدها فالتاجر التزم الغش والخيانة والكذب والخداع تحايلا على رواج تجارته الرديئة · والمرابي اتخذ الخيانة والغدر والتزوير طريقة لنزع ما بيد المصري من اثاث وعقار فابتدأَ امره بدراهم معدودة وانتهى بتحايله الى قناطير منضودة وقد التزم طرق الحيلة فهو وطني مالان معه حاكم وطني وساعده على نهب الفلاح وتفليسه واجنبي ان ظهر غشه وغدره يحتال لسلب الفلاح بالمحاكم الاجنبية التي لا يدري الفلاح شيئاً من اصولها · والمستخدم في

الحكومة تعصب لجنسه فاجتهد في ابعاد المصريين عن الوظائف الاميرية ووضع وطنيِّه مكانه حتى اقفل بيوتاً كثيرة وافقر اغنياء بقطع مواد الثروة عنهم . ثم تحيز كل جنس من النزلاء في نقطة سكناً واستيطاناً ليبعد عن المصريِّ ويستقل مع جنسيته بخصائص المجامع التجارية والادبية والافكار الادارية والدولية واتخذ كل فريق مجمع لهو اوانس خادمهُ وصاحبه ومديره من جنسيته حتى لا ينتفع المصريُّ بشيء من الغرباء . ثم اجتمعت كلمة النزلاء على ذم المصريِّ وتقبيح اعماله واقواله واظهار خفاياه الى من يهمهم الاطلاع على عوراته التي يرونها باباً للدخول في بلاده او سلب ما بيده . وهذه الاعمال كانت سبباً في غرس الضغائن بين المصريِّ وبعض نزلاء بلاده اذ لا يتصوَّر ان انساناً يتغلب على قوت انسان ومظهره واثاثه وعقاره ثم يرى انه بعد ذلك يحبه او يحمده فان رأى منه ميلاً او محبةً فان ذلك نفاق يداري به بعضهم بعضاً ويتقي به كل منهم شر الآخر ولهذا ترى النزلاء لخوفهم على ما بايديهم من التجارة والاعمال يظهرون التجنس بغير الجنسية الشرقية ويعدُّون انفسهم من الغربيين ليشتركوا معهم فيما يسمحون لهم به من الاعمال . ولا يلام غربي على تداخله في شؤن الشرق واهله فان ذلك من اطماع الملوك في كل زمن وانما نلوم الشرقيين على تعاميهم عن مصلحة بلادهم وانصرافهم عنها بالاشتغال بمصالح الغربي فان من داخل الاجناس الشرقية القاطنة بمصر ورأى تفرق الاهواء حول المنفعة الذاتية وكراهة كل جنس لمثله وتقبيح كل فريق عمل الآخر وسعي كل طائفة في اذلال الاخرى مع غفلة المجموع عن ثمرة الاجتماع الشرقي ونتائج قلع الاحقاد وتصامهم عن سماع الدعاة الى توحيد الوجهة والسير وذمهم

كل من دل على فضيلة او حذر من رذيلة وتعصبهم على كل نابغ منهم زاعمين ان ماهم فيه هو ثمرة المعارف ونتيجة العلوم واهمين ان الفضل في قلب الحقائق وجعل الباطل حقاً والخطأ صواباً علم ان الشرق انما اضاعهُ اهلهُ وافقره بنوه واذله نبهاؤُه · ومن رأى التقاطع الحاصل بين ذوات المصريين الأُول وبين القائمين بالاحكام الآن وتمدح الفريق الثاني برأيه وتدبيره وذم السابقين بالجهالة والخشونة وكراهة الفريق الاول لما هو حاصل من الثاني ثم رأى تباعد العلماء عن مجالس الامراء والنبهاء ونفورهم من المحدثات من غير رد قولي او معارضة فعلية وحط بعض الناس عليهم بنسبتهم الى امورهم برآء منها ثم رأى تحيز افرقاء الامة الى هذه الاقسام وتوزيع الاهواء حول تلك الغايات الوهمية ايقن ان الوهن تمكن منا معاشر المصريين خصوصاً والشرقيين عموماً بتخاذلنا وتقاطعنا وصار وصول الغرباء الى مقاصدهم اسهل من تناول الماء من عين تجري على وجه الارض فلو ابدل الذوات والامراء والعلماء والنبهاء السابق منهم واللاحق هذه المنافرات والمطاعن الافترائية بتوحيد كلمتهم وتخللوا مجامع بعضهم متذاكرين ومتشاورين وعقدوا عزائمهم على مقابلة تلك العصبيات بعصبية مصرية او شرقية لها من فضائل الاجناس ما لغيرها واخذوا في اصلاح ما بيدهم من الاعمال والادارات باتفاق الآراء وتدبير شؤُنهم الخاصة والتزام الاقتصاد وحسن السير لنظرتهم اوروبا بعين الاعتبار والاجلال وامكنهم ان يحافظوا على ما بقي من موجبات الشرف وحياة الوطنية والجنسية · والا فما حظ البلاد من عظماء يجتمعون للمسامرة بما ليس فيه فائدة للبلاد وشيوخ كل حديثهم ذم الشبان وما هم فيه من الاسترسال خلف الشهوات من غير ان يبينوا لهم طرق

الهداية وسبل الاعتدال · وشبانٍ بصرفون اوقاتهم في معاقرة الراح ومنادمة الصباح والتزلف الاجنبي بصرف مياه الوجه والحياة والشرف والثروة · ومافائدة البلاد من غوغاء يبيتون سكارى ويصبحون حيارى وقد اشتغل عنهم العظماء بالفكاهات والتياترات وحسن المسامرة واعرض عنهم العلماء وتركوهم في غيهم يمرحون بلا وعظ ولا تحذير اكتفاءً بمعرفتهم ان ما يفعلونه ضلال وبهتان واحتقرهم الشبان النبهاء فابعدوهم او بعدوا عن مجالسهم وخاللوا النزلاء وخالظوا الغرباء · غاض والله الدمع وصرنا نعيِّر بالبكاء الذي هو جهد النساء · كل ما نحن فيه معاشر الشرقيين خبل وهُلاس ولا برءَ لنا منه الا بمعرفة التركي حقَّ العربي وفضله واعتراف العربي بمجد التركي وسيادته واتفاق السوري مع المصري وائتلاف الهندي باليمني واتحاد العراقي بالفارسي وارتباط التونسي بالمراكشي وتوجيه نظر المجموع وهمته الى ما يسمى شرقاً لا ما يسمى جنساً فان حاجتنا الى توحيد الكلمة حاجة الاعمى الى من يقطع به الصحراء

فُضَّ فُو رجلٍ يقول لا ندرك هذه الغاية الا بثورة نبدد بها جموع النزلاء والغرباء فان النزيل اما شرقي تحتاج اليه لكونه اخاك واما غربيٌّ عرف منك حسن الخُلُق ووثق بمعاهدات حكومتك فرحل اليك وهو موقن بالأَمن على حياته وعرضه وماله · وكذب رجل يقول ان الاستظلال بظل الغير حياة للوطنية والمدنية فما يريد ان يفر كل مخلوق الا من الاسر والاستعباد · لم تقم اوروبا على ساق القوة بعد الضعف عن النهوض الا بالحصول على القوى الثلاث قوة العلم وقوة المال وقوة العدد ونحن الآن في حاجة الى العلم فاذا حصلناه جاءَ من بعدنا فعظَّم به الثروة ثمَّ يأْتي من بعده فيعد بها العدد

ثم يأتي بعد هولاء من يقول للغربيين نحن وانتم . ولا نصل للقوة العلمية وفينا من يقول العز في الخمول والسعادة في العزلة والفضل في الزهد في الدنيا والبعد عما في ايدي الناس فان من توكل على الله كفاه وهذا الفريق متخلل بين العامة يزعم انه من الهداة وهو من المضلين فلو كان من البصراء لطالع سيرة نبينا سيدنا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وغزواته وفتش في سياستَيه السماوية والارضية ولأيقن انه كان اكثر منه توكلا على الله تعالى وازهد في الدنيا وما في ايدي الناس ولم تقعد به همته العلية عن مزاولة الحروب بنفسه الشريفة وفصله قضايا الامة وجلوسه لتعليم الناس وسعيه في مصالحهم ومخاطبته الملوك والأقيال والامراء ومعاملته المسلم والمسيحي والموسوي بعدل لا يضمنه الآن احسن قانون ولا ينفذه اقوى سلطان فهؤلاء بجهلهم سيرة نبيهم سولت لهم انفسهم انهم قائمون بارشاد الامة وهدايتها الى الطريق الحق وما دروا انهم اماتوا الهمم وصرفوا النفوس عن التعلق بحوافظ الدين والملك معاً . ومن هذا القبيل الذين دونوا دواوين الخَطَابة وجعلوها قاصرة على التزهيد في الدنيا والتحذير من المال وجمعه والفرار من المجامع والظهور والرضا بخشن العيش والصبر على الذل والهوان وتركوها للخطباء يخطبون بها يوم الجمعة حيث تجتمع الامة اجتماعاً لا يتفق لامة اخرى فيدخل الرجل للصلاة وهو يفكر في عمل يصلحه وصناعة يتقنها وادارة يحسنها ومعيشة يوسعها ونظام يحفظه واخاء يحافظ عليه ووطن يسعى في وقايته وملك يدافع عنه وحق يطالب به ويخرج وقد ماتت همته وانصرف عن الافكار الجليلة بما غرسه الخطيب في فكره من قبح الدنيا وسوء

مصبر المشتغلين بها · فلو تصدت اوروبا لامانة هم المسلمين وصرفهم عن مجد الملك والدين والجنس وقطعت دهورا في اختراع طريق تصل به هذه الغاية ما اهتدت الى ما فعله الخطباء من تحويل الخطابة عن عهدها النبوي الى ما قاله المتملقون الى الملوك او الغافلون عن طرق الهداية واصلاح الامة · ونحن نستفتي هؤلاء المثبطين · اذا كانت الدنيا يحذر منها فلمن خلقت واذا كان الاشتغال بها بهتاناً وضلالاً ولا يشتغل بها الا اعداء الله فلِمَ نتألم من تسلط الغير علينا ووقوعنا في ايدي المتغلبين ونعد الرضا بذلك ذنباً ومعصيةً · كل هذا انصراف عما كان عليه السابقون فقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب الناس بوقائع الحال وربما طرأ عليه الامر في غير يوم الجمعة فيرقي المنبر ويخطب به الناس وجاء الخلفاء الراشدون على اثره فكان ابو بكر يخطب باحوال اهل الردة وخروجهم من الاسلام ووجوب قتالهم وكان عمر يرتب جيوشه ويولي الامراء ويفرق الالوية ويعلم الاحكام وهو على المنبر وكان عثمان يخبر الناس بخراج البلاد واحوال الفاتحين وهو يخطب وكان عليٌّ يذكر الحاصل بينه وبين الثائرين عليه ويعلم الاحكام ويوصي الحكام ويلقن التوحيد ويقص اخبار السابقين وهو على المنبر ولم نسمع ان هارون الرشيد خطب من ديوان اوان المأمون الفت له خطبة اوان مولاي ادريس جمع له العلماء كلاماً موزوناً مسجوعاً بل كان يخطب كل خليفة وامير بما يراه صالحاً للامة وما طرأ عليه من وقائع الاحوال الداخلية والخارجية فعلى العلماء الافاضل ورجال الخطابة ان يغيروا هذه الطريقة ويخطبوا الناس بضروريات دينهم ودنياهم فانهم ان فعلوا ذلك وعلّموا الناس الدين

والتجارة والملاحة والفلاحة والمعاملة والمخالطة وذكروا للعامة احوال ممالكهم وما تحتاجه من العناية بها والسعي في حفظها ونبهوهم على الوقائع الحاصلة في ممالك الغير تحريضاً على المجاراة او تحذيرًا من الوقوع فيها وحذروهم من الفتنة والدخول فيها والهيجان والقرب منه وعلموا الناس الحقوق الوطنية والمدنية وواجبات العمران ومقدماته واجتهدوا في ذلك اثَّروا في النفوس تأثيرًا غريبا وقادوا الامة الى التقدم بسرعة عجيبة وفعلوا في النفوس والقلوب ما لا تفعله الجرائد واوامر الملوك والسلاطين فان الجرائد لا يقرؤها الا العارفون بها وهم عدد قليل جدًّا بالنسبة الى سواد الامة الاعظم ويأخذون ما فيها على انه وقائع احوال واما الخطبة فيسمعها الأُميُّ والقارىء والعالم والجاهل ويأخذون كلماتها على انها ارشاد من واقف موقف النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم يأمرهم وينهاهم فتأثيرها في النفوس يكون عظيماً جدًّا لتعلقها بالدين. وكأننا بغرٍ يقول ان هذا دعاء للتعصب الديني والدنيوي فنجيبه بان هذا امر ديني لا تتعرَّض الملوك اليه ولا تمنع منه لقيام كل امة بامور دينها من غير معارضة خصوصاً في مصر او الشرق باجمعه فان اصحاب الاديان ممتعون فيه بحرية لا تماثلها حرية الافكار في اوروبا تشهد بذلك الكنائس المشيدة والأجراس المرتفعة والهياكل الهندية والمعابد الاسرائيلية ومدافن الامم المتغايرة جنساً ووطناً ودينا فلا يحصل في مصر او الشام او الاناطول او بلاد العرب او الفرس او غيرها مثل ما حصل في نابولي ايام اقامة حضرة الخديوي الاسبق بها حيث توفي سفيان اغا فاشترى له قطعة ارض ليدفن فيها فلما حملوا نعشه صارت الصغار ترجمه بالطوب من كل ناحية فلم يتخلصوا

منهم الا بذكر المسيح امامه ولا مثل ما يحصل من ارسالهم كل مسلم مات في اوروبا الى وطنه . ولقد مات تلميذ مصري بباريز فابى كل فريق دفنه في مقابره حتى اخذه بعض قسوس الكاثوليك فدفنه فقامت الجرائد تطنطن باسم ذاك الرجل مدحاً وثناءً على قبوله مسلماً في مدة طائفته لكون ذلك غريباً جداً عندهم . والشرقيون يقبلون ملايين من الاوروبيين في اراضيهم ولا يحمدون على شيءٍ من ذلك كأنّ اهل الشرق خلقوا عبيداً لاوروبا . فبهذه الحرية التي تمتع بها الاوروبي في الشرق يتمتع الشرقيون كذلك باجراء عوائدهم واتخاذ طرق اصلاح النفوس وتهذيب الاخلاق وليس هذا من باب التعصب كما يزعم الدخلاء وانما هو من باب تربية الافكار التي تدعو اليها اوروبا وتريد ان نصل اليها باقامة جماعة منها بين ظهرانينا . وطريق اوصلتنا اليه اوروبا طريق مأمون والا كانت دعوتها اليه غشاً وخداعاً وهي لا ترضى ذلك ولا نقول به . على ان المسلمين الذين في غير مصر يجرون عاداتهم ولو لم تكن شرعية باية طريقة توصلهم اليها كاهل تونس عندما منع الحاكم الفرنساوي ضرب مدفع الافطار ومدفع للسحور في بعض المدن وعلل ذلك بزيادة المنصرف فالتزم القاضي بدفع قيمة البارود الذي يصرف في رمضان من استحقاقه واستمرت العادة وهي ليست من الدين في شيء فأولى ان نطالب انفسنا بما فيه صلاح حالنا واستقامة عامتنا . ولتكن الخطبة خالية مما يوغر صدور الشرقيين من ذم وطني غايرهم دينا فان في الايغار تفريق الكلمة التي نريد جمعها وباعثاً لتداخل الاوروبي بعلة طلب الراحة لدينيّه الشرقي كما هو جار في معاملة اوروبا لملوك الشرق . وليس من التهذيب ان نذم اوروبا

ونقبح اعمال اهلها وعوائدهم فان لكل امة خصائص الفتها وعادات لزمتها وانما نذم الذين ارادوا تقليد اوروبا فاخذوا بما عليه الغوغاء والرعاة من التهالك في الخمر والقمار والفسوق وتركوا ما عليه ارباب الافكار ورجال المعارف من خدمة لامة والبلاد بما فيه الصلاح والعمارية واذا علم العامي وغيره ان الخطيب يخطب بوقائع الوقت ويحث على ما يناسب الزمان والمكان هرعوا الى المساجد وكثر المصلون وعاد للمساجد من يختفون في البيوت حتى يخرج الناس من الصلاة . واني لاعجب من أُناس تركوا الصلاة كسلاً وتهاوناً وهم يرون اميرهم المفخم حفظه الله تعالى يؤدي اوقاته ويحضر الجماعات في المساجد منتظماً مع افراد الامة في صف من صفوف المسجد ويسمعون ان خليفتهم الاعظم يذهب الى المساجد ويصلي مع الامة فما بال هؤلاء الناس لا يقلدون ملوكهم ولا يستحيون من الله ولا من الناس . أيرى احدهم انه حر الفكر اي لا يعترف بصحة دين كما يزعم كثير من دهاة اوروبا الذين اتخذوا مشدقتهم بهذه الاضاليل مصائد لضعفاء اليقين من اهل الشرق فان كان فيهم من يرى هذا فليقلد من اضله في فعله المدني فانه لا يتأخر يوم الاحد عن الكنيسة ولو لم يعتقدها في زعمه ليساوي بني جنسه ودينه فيما هم فيه ويجتمع معهم في روابط الاتحاد وتوحيد الكلمة ولا ينفر العامة من اصل بُني عليه اساس الملك وحفظ به نظام العمران . ولسنا في زمن فترة حتى يكون هذا الكلام دعاءً لتجديد دين وانما نحن في زمن المشابهة والمماثلة ومجاراة الامم بعضها بعضاً وقد امتلأت المحافل والطرق برسائل الامريكان واليسوعيين وفرقت حتى على المسلمين في مصر والشام وبلاد العرب وعلى المجوس والبراهمة

في الهند والصين دعاة الدين وحثاً على الاخذ بالدين المسيحي وما نرى جماعة من الاوروبيين سكنوا جهة في مصر واسكندرية او الشام الا وبنوا في كل حارة كنيسة فهذه جهات الفجالة وشبرا والاسماعيلية والمطرية بها كثير من الكنائس وما بني فيها مسجد لمسلم كأن المسلمين الساكنين بها ليسوا من هذه الامة . فان قيل ان المساجد كثيرة وهم يذهبون اليها قلنا فلم يكتف الاوروبي بالكنائس الاخرى و يذهب اليها والمجاراة تلزمنا بتقليد اوروبا في عملها فانها تعد ما نحن فيه همجية وما هي فيه مدنية فلم نتاخر عنها ونبقى في همجيتنا المذمومة عندها . نرى ارتباط الاجناس مانعاً حصيناً من تبديد ثروتها واضعاف قوتها ونحن توزعت اهواؤنا فتبددت قوانا الجامعة للعصبية فلا نسمع من فلان الا ذم صاحبه ورميه بالعجز عن عمله وربما اردف هذا الذم بالسعاية بل بالسعي في ابدائه فنرى الظاهرين منا يصرفون وجاهتهم واعتبارهم في اقفال بيوت اخوانهم ومساعدة الدخلاء والنزلاء بيدهم ولسانهم مع اننا نرى الناس امامنا اذا اراد احدهم الاشتغال بعمل ساعده اخوانه وحسنوه للناس ودار وا بين العظماء او الوجهاء محسنين ومرغبين واذا خلا احدهم من خدمة اجتمعوا وجدوا في رجوعه او دخوله في محل آخر واذا افلس احدهم جمعوا له مالاً وفتحوا له محلاً يستغله ونحن على عكس هذا كله وكلما زادت معارفنا كلما زاد تقاطعنا اللهم الا بعض اناس ممن حنكتهم التجارب ودعتهم المشابهة الى البحث في المنافع الوطنية والدينية فانبعثت فيهم الحمية والغيرة فهم اساتذة الوقت وعنوان كتاب الفضلاء وان لم يتصدوا للتدريس بالصورة المعتادة بين الناس ولقد اثرت حركات اوروبا في الشرق وسرعة تقلبها في المظاهر الدينية

والدنيوية في معظم شيوخ هذا العصر وشبانه فتحركت فيهم هم وغيرة وحمية لم تكن تظن فيهم لو لم تقبح اوروبا سيرهم الديني والدنيوي فقابلوا بين نهيها عن التظاهر بالشعائر الدينية و بذلها النفس والنفيس في حياة الدين والدعوة اليه ببث المرسلين وتكثير المعابد فتولدت فيهم روح المماثلة فاصبحوا يقولون وغدوا يفعلون · بين المصريين والشاميين والعرب رابطة اللغة والسلطة في الكل والدين في معظمهم والجنس في اغلبهم والمتاخمة التي تصير المجموع في حكم الوطن الواحد فلم نرى الهم مصروفة نحو التفريق واحداث النفرة بين هذه الامم المحتاجة الى الجامعة الشرقية ولو كانت الهم مصروفة جهة توحيد الكلمة والاختصاص بالمصالح الوطنية لكانوا سدًا محكماً بين الشرق و بين المتهيئين للوثبة عليهم · ان كان النفور بسبب الدين فقد انتهى زمن الفتح ورسخت اقدام الاديان ورضى كل بدينه فالسعي في النفرة بسببه سعي لمصلحة اوروبا لا للشرقيين · وان كان بسبب الجنس فقد طال زمن الاختلاط والمعاشرة وكثر التوالد من المتغلبين من اجناس شتى على تلك الجهات حتى كدنا ان نوجد الجنس في سكانها · اللهم الا في البلاد العربية التي لا يدخلها الخليط · وان كان بسبب الوطن فقد علمنا احتياجنا لتاكيد الرابطة وتأليف النفوس وان كانت السلطة فكلنا اتباع سلطان واحد نأتمر بامره وننتهي بنواهيه · اللهم الا بعض اناس استمالتهم اوروبا فانتموا اليها فهم اجانب منا وان تكلموا بلغتنا وسكنوا وطننا بل وان دانوا بديننا لانهم لا يقدرون على السعي في مصالح الشرق ولا ينطقون بكلمة فيها خير لاهله فانهم مقيدون بتعاليم الدول المنحازين اليها قياماً بحق نعمتها عليهم · ولا يضرنا

هذا الفريق اذا فتشنا جموعنا واخرجنا الفريق الزائف من سبيكة المجموع الشرقي واخذنا في التواد الجسمي والتواصل القلبي حتى نرى المصريين من مسلمين واقباط واسرائيليين والشاميين والترك والعرب والجركس والارنؤط والفرس والهنود والافغانيين وغيرهم تجمعهم المجالس للمذاكرة والمشاورة والاتحاد على مشابهة اوروبا في تقدم العلوم والصنائع والاتفاق على وجهة تتجه اليها الافكار مهما تقلبت صور الحوادث ليكون لنا مبدءٌ معلومٌ ومشربٌ محفوظ وغاية نسعى اليها فان اوروبا تحركنا كل وقت لهذا العمل وترمينا بفساد الاخلاق وخور العزيمة وعدم الثبات على عمل وحبنا للمفاخرة بما لا فخر فيه ولا شرف · وأُمم يدعوهم مايرونه خصماً الى الطريق الذي سلكه حتى دخل بلادهم وهم قاعدون عن السعي أُمم محتاجون لتخلل النبهاء مجالسهم وجوس العلماء ديارهم وبذل الاغنياء اموالهم وصرف الامراء هممهم حتى يتم تهذيب العامة ويعرف كل انسان حده وحقوقه ويسعى كل شرقي في مصلحة بلاده ومنفعة اخوانه مع المحافظة على الروابط التي ربطتنا باوروبا فقد دعت ضرورة التجارة والسياحة وحفظ السلم بين الدول الى المعاهدات وتبادل الرحلة من والي الشرق والغرب · ووحدة الانسانية رابطة كبرى بين جميع سكان الدنيا فلو لم يكن بين الامم من الروابط الا الصورة الانسانية لكفاها ولكانت اقوى للروابط لحفظ نظام الدنيا العام ولكن ماحيلة الانسان فيمن يريبونه على عداوة مثله ويسقونه كأس البغضاء يوم فطامه من ثدي امه فيخرج منكرا على مثيله صورته مدعياً ان غيره وحشي الطبع همجي السير وان الانسانية محصورة في حشو جلده · وفي هذا الباب يحسن اسهاب ارباب الاقلام في حفظ الروابط

وتبيين طرق التقدم وتفسير قول عمر بن عبد العزيز تحدث للناس اقضية بقدر ما يحدثون من الفجور وكفانا من الخمول والقعود في الزوايا وحط النبهاء بعضهم على بعض بغير فائدة تؤثر عنهم او طريقة تنسب اليهم وخوف الاغنياء من الاقدام على موارد الثروة واحتجاب العظماء عن الاوساط الذين يبادلونهم المذاكرة تهذيباً وتنويرا فهذا صوت ابنائنا ينادينا في كل بلد شرقيّ انتقلب الامم بتقلب الاحوال ونحن نحن

﴿ العالم سيديو الفرنساوي الشهير ﴾

هذا العالم عند ما تضلع من العلوم اخذ يبحث في الأديان فما كان يسمع من خطباء اوروبا شيئاً عن الدين الاسلامي الا قول بعضهم ان جماعة من العرب دعتهم الفاقة الى اتخاذ قطع الطرق وسيلة لثروتهم فاتخذوا لهم رئيساً اسمه محمد بن عبدالله وساروا تحت رأيه واخذوا في مهاجمة الأمم ونهب البلاد فلما علت كلمتهم وسرى صوتهم في الاقطار ادعى قائدهم انه صاحب شريعة واخذ يضع لهم تعاليم دينية جمعهم عليها . فاذا ترك هذا الخطيب وذهب الى غيره سمعه يشتم المسلمين ويذمهم ويرميهم بفساد العقول وعدم التبصر لأخذهم بهذا الدين ويرمي النبي صلى الله عليه وسلم بامور لم تصدر منه ولا تنسب لاقل خلق الله عقلاً لينفر الناس من تصديقه والنظر في دينه فاذا ترك هذا سمع من غيره ان الدين الاسلاميّ يحرم الجنة على النساء ولو عابدات ليصرف افكارهنّ عنه وبصرف افكارهن تنصرف رجالهنّ لنفوذ كلمتهن عليهم فاذا تركه ونظر في مؤلفات علمائه وقساوسته رأي خرافات